وقال يمدحه ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة:[١٦٢]

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ[١٦٣]
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ[١٦٤]
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ ... وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخَضَارِمُ[١٦٥]
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ ... وَذَلِكَ مَا لَا تَدَّعِيهِ الضَّرَاغِمُ[١٦٦]
يُفَدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحُهُ ... نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ[١٦٧]
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ[١٦٨]
هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ؟[١٦٩]
سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ[١٧٠]
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا ... وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ[١٧١]
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ[١٧٢]
طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ[١٧٣]
تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ[١٧٤]
إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ[١٧٥]
وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا ... وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ؟![١٧٦]
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ ... فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ[١٧٧]
أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ[١٧٨]
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ... ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ[١٧٩]
خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ ... وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ[١٨٠]
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ ... فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَّاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ[١٨١]
فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ[١٨٢]
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا ... وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ[١٨٣]
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ[١٨٤]
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ[١٨٥]
تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى ... إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ: أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ[١٨٦]
ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً ... تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ[١٨٧]
بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ ... وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ[١٨٨]

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا ... وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ[١٨٩]
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا ... مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ[١٩٠]
نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ كُلِّهِ ... كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ[١٩١]
تَدُوسُ بِكَ الْخَيلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَا ... وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ[١٩٢]
تَظُنُّ فِرَاخُ الْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا ... بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ[١٩٣]
إِذَا زَلِفَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا ... كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ[١٩٤]
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ[١٩٥]
أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ الْبَهَائِمُ؟![١٩٦]
وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ ... وَبِالصِّهْرِ حَمْلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ[١٩٧]
مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَا ... بِما شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ[١٩٨]
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ[١٩٩]
يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ[٢٠٠]
وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ[٢٠١]
تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ ... وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ[٢٠٢]
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ[٢٠٣]
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ[٢٠٤]
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ الْغَمَاغِمُ[٢٠٥]
أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُغْمَدًا ... وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمُ[٢٠٦]
هَنِيئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا ... وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ[٢٠٧]
وَلِمْ لَا يَقِي الرَّحْمَنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمُ؟![٢٠٨]

وقال: وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة:

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هُمَامُ ... وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ؟![٢٠٩]
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ... وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ؟![٢١٠]
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا ... كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ[٢١١]
فَتًى تَتْبَعُ الْأَزْمَانُ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ ... لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ[٢١٢]

وِلِيَ الرَّسم من تطولِكَ الْجَمْـ ـمِ وَذَاكَ الإِفْضَالِ والإِنْعَامِ
فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقِّعْ فإِنِّي مُوثَقُ الحالِ في يَدِ الإِعْدَامِ
زادكَ اللـه رِفْعَةً وَعُلوًّا وَسرورًا يبقى على الأَيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات.

(١٥٥) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، سميت ببدرة السخلة؛ جلدها.

(١٥٦) النوال: العطاء، يقول: كان مدحك لنا في الحلم، وكذلك نحن أجزنا على الحلم بالحلم، فكانت الجائزة على نحو مدحك. يريد تسفيه رأيه وتحميقه؛ إذ لم يجعل مدحه لسيف الدولة غرضًا يقصده.

(١٥٧) كنى عن رداءة لفظه وخطه، يقول: قد كان لفظك رديئًا؛ لأنك قلته في النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبته حتى جاء الخط رديئًا أيضًا؟

(١٥٨) الإعدام: الفقر. يقول: أيها المشتكي الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر؟

(١٥٩) افتح الجفن: أي لا تكن غافلًا، وفيه نكتة لا تخفى، يقول: إن القول الذي قلته في النوم لا تذكره لسيف الدولة، وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا تخاطبه كما تخاطب سائر الناس.

(١٦٠) يقول: لا يغني عنه أحد ولا يقوم مقامه؛ لعموم فضله، ولا يكون منه بدل؛ لجلالة قدره، ولا يمنح منه أحد ما يطلبه؛ لسعة مقدرته.

(١٦١) يقول: إن عشيرته أكرم أهل الدنيا، وهو أكرم عشيرته.

(١٦٢) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها، وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأخرى سنة ثلاث وأربعين، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل، ووقع القتال يوم الإثنين سلخ جمادى الأخرى من أول النهار إلى العصر، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقًا كثيرًا، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث، ووضع بيده آخر شرفة منه في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، فقال هذه القصيدة يمدحه، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث.

(١٦٣) العزم: الجد — عزم على الأمر عزمًا: أي أراد فعله — وقال الليث: العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله. والعزائم: جمع عزيمة؛ وهي ما يعزم عليه من الأمر. والمكارم: جمع مكرمة؛ فعل الكرم. يقول: إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم، فمن كان كبير الهمة قوي العزم كان الأمر الذي يعزم عليه عظيمًا، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها: فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم، والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال، فإذا صغروا صغرت، وإذا كبروا كبرت. وهذا كقول عبد الله بن طاهر:

إنَّ الفُتُوحَ عَلَى قدر الملوكِ وهمْـ ـمَاتِ الوُلاةِ وَإقدامِ المَقادِيمِ

(١٦٤) الضمير في «صغارها» للعزائم والمكارم. يقول: إن صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر؛ إذ تملأ ذرعه، وعظامها صغيرة في عين العظيم القدر؛ لأن في همته فضلة عنها. يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة، وما فعل في الوقعة التي ذكرنا من نفاذ عزمه وجلالة قدرة.

(١٦٥) الهم: الهمة؛ وهو ما هممت به من أمر لتفعله. والخضارم: جمع خضرم؛ وهو الكثير العظيم من كل شيء. يقول: يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به؛ لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله.

(١٦٦) الضراغم: الأسود. يقول: إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقدامًا، وذلك شيء لا تدعيه الأسود، فكيف تبلغه البشر؟

(١٦٧) نسور: بدل من أتم الطير، أو عطف بيان. وأحداثها والقشاعم: بدل تفصيل من نسور. والملا: بمعنى الفلاة، ويروى: الفلا: جمع فلاة؛ وهي الصحراء. والأحداث الشابة: جمع حدث. والقشاعم: الطويلات العمر، ويقال للحرب والمنية والذلة أم قشعم، وبكل أولئك فسر قول زهير:

فَشَدَّ ولم يُفزِعْ بيوتًا كثيرةً لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم

(من معلقة زهير. يقول: فحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتًا كثيرة؛ أي لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل المنية، وملقى الرحل:

المنزل؛ لأن المسافر يلقي به رحله. أراد: عند منزل المنية، وجعله منزل المنية لحلولها قتل حصين.)

وأراد بأتم الطير: عمر النسور، وقد بينه بالمصراع الثاني. يقول: إن النسور صغارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا؛ لأنها كفتها مؤنة طلب الأقوات، لكثرة القتلى في وقائعه.

(١٦٨) «ما»: نفي، أو استفهام إنكار. وخلق: مصدر خلق يخلق. والمخالب: جمع مخلب، وهو لسباع الطير كالظفر للإنسان. والقوائم: جمع قائم، وهو قائم السيف؛ أي مقبضه. يقول: ليس يضر الأحداث من النسور؛ أي الفراخ، والقشاعم؛ أي المسنة التي ضعفت عن طلب القوت — وخص هذين النوعين لعجزهما عن طلب الرزق — ليس يضر هذين أن لا يكون لهما مخالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة، فإنها تقوم بكفاية قوتها. ولك أن تقول: إن المعنى: وما ضرها لو خلقت بغير مخالب؟ كما تقول: ما ضر النهار ظلمته مع حضورك، وليس النهار بمظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلمًا. وعبارة العكبري — وهي بمعنى التفسير الأول: ما يضرها أن تخلق بغير مخالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه؛ لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه، وتفعل لها ما تريده وتطلبه. هذا، وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي — وقد أخذه من المتنبي:

وَيَوْمَاكَ يَوْمٌ لِلْعُفَاةِ مُذَلَّلٌ ويوم إلى الأعداء منك عَصَبْصَبُ
إذا حَوَّمَتْ فَوْقَ الرِّمَاحِ نُسُورُهُ أطار إليها الضَّربُ ما تترقبُ

(١٦٩) الحدث: قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم، ووصفها بالحمراء؛ لأنها احمرت بدماء الروم، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها، فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم، يقول: هل تعرف هذه القلعة لونها؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم، وهل تعلم أي الساقيين لها هو الغمائم: أجماجم الروم التي سقتها بالدم، أم السحائب التي سقتها بالمطر؟ يعني أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء، فهي لا تدري أي هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالغمائم؛ لأنهما استويا في السقيا وقد بين هذا المعنى في البيت التالي. وقوله: أي الساقيين الغمائم: مبتدأ وخبر سدَّا مسد مفعولي تعلم.

(١٧٠) الغمام: جمع غمامة. والغر: البيض.

(١٧١) فأعلى: أي فأعلاها. والقنا: الرماح. يقول: بناها ورماح المسلمين تقارع رماح الروم والجيشان يتقاتلان والمنايا تسلب الأرواح، واستعار للمنايا موجًا متلاطمًا لكثرتها؛ أي لكثرة القتل، فكأن المنايا بحر تتلاطم أمواجه.

(١٧٢) مثل: اسم كان، وهو خلف من موصوف؛ أي شيء مثل الجنون. وأصبحت تامة، والواو بعدها للحال. والتمائم: جمع تميمة؛ وهي العوذة، يتوقون بها مس الجن. جعل اضطراب الفتنة فيها جنونًا لها؛ وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها فلا تزال الفتنة بها قائمة، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت الفتنة وسلم أهلها، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون، وهو إسكان الفتنة. قال أبو الطيب: ما رد علي أحد شيئًا قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته ومن جيف القتلى، فقال لي: مه، قل: ومن جثث القتلى، فقبلت وقلت كما قال لي. قال ابن وكيع: وقد لاذ أبو الطيب بقول أبي تمام:

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونهَا إذا لم يُعَوِّذْهَا بِنَغْمَةِ طالب

(١٧٣) الطريدة: المطرودة. أي ما طردته من صيد أو غيره. والخطى: الرماح. وراغم: ذليل، وأصل الرغم: أن يلتصق الأنف بالرغام؛ أي التراب. يقول: إن هذه القلعة كالطريدة أمام الدهر تعقبتها حوادثه؛ إذ سلط عليها الروم حتى خربوها، فأعدت بناءها ورددتها على أهل الدين، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد.

(١٧٤) تفيت: من الفوت، وأفاته الشيء: حمله على فوته، وفاعل تفيت: ضمير المخاطب، والليالي: مفعول أول، وسكنه ضرورة، أو على لغة، وكل شيء: مفعول ثانٍ. وغوارمه جمع غارمة، وغرم الدين والغصب وغير ذلك: أداه. يقول: إذا سلبت الليالي شيئًا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك، وهي إذا أخذت منك شيئًا غرمته، وروى أخذنه — بالنون — ضمير الليالي، فتكون الليالي فاعل «تفيت» والمفعول الأول محذوف: أي من عادة الليالي إذا أخذت شيئًا أن لا ترده على صاحبه فتفيته إياه، فإن أخذت منك شيئًا غرمته؛ يعني أنت أقوى من الدهر، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد عليك. وهذا من قول بعضهم:

فما أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوِتْرِهِمِ ولا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

وقال الطرماح:

إن نَأْخُذِ النَّاسَ لا تُدْرَكْ أخِيذَتُنَا أو نَطَّلِبْ نَتَعَدَّى الحقَّ في الطَّلَبِ

وقال التبريزي وابن القطاع: من رواه بالنون أفسد المعنى، قال ابن القطاع: قال لي شيخي محمد بن البراء التميمي: قال لي صالح بن رشد: قرأت على المتنبي أخذنه بالنون فقال: صحفت يا أبا علي، قلت: وكيف قلت؟ فقال: أخذته — بالتاء — لأني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت. وذلك أن تفيت يتعدى إلى مفعولين، فإذا جعلت «الليالي» فاعله ونصبت «كل شيء» لم يكن مفعولًا ثانيًا ففسد الإعراب، وإذا قلت بالتاء جعلت «الليالي» مفعولًا أولًا و«كل شيء» ثانيًا، وأما فساد المعنى: فلو جعلت «الليالي» الفاعلة لجعلتها تفيت كل شيء ولا تغرمه، ثم نقضته بقولي:

وهن لما يأخذن منك غوارم

وإنما المعنى تفيت يا سيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها فلا تغرمه لها، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى.

(١٧٥) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعًا؛ فالمضارع هنا المراد به المستقبل، يقول: إذا نويت أن تفعل أمرًا فكان ذلك فعلًا مستقبلًا مضى ذلك الذي نويته قبل أن يجزم ذلك الفعل. وأراد بالجوازم: «لم ولا ولام الأمر» أي إذا نوى أن يفعل أمرًا مضى قبل أن يقال له: لا تفعل؛ لأنه يسبق بما يهم به نهي الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال: ليفعل كذا وليعط فلانًا ولينجز ما وعد به؛ أي أن ما ينوي فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهي أو طلب. وعبارة بعض الشراح: إذا نويت أن تفعل أمرًا وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيًا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم، وخص أدوات الجزم من عوامل المضارع؛ لأنها لغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو «لم» و«لما» ومنها للطلب، وهو «لا» و«اللام» وبواقيها للشرط، فكأنه يقول: إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل: لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا، ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء، كأن يقال: إن تفعل كذا يترتب عليه كذا؛ لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط، ولا يخاف وراءه عاقبة. وعبارة العكبري: يريد: ما أسعده الله به وأظهره له من سعده في قصده، فإذا كان ما ينويه فعلًا مستقبلًا — ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذي لم ينقطع وعلى المتأخر الذي لم يقع — صار ذلك

الفعل ماضيًا بوقوعه منه، ومتصرفًا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم، فنثبته فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع. قال ابن وكيع: هو مأخوذ من قول أبي تمام:

خرقاءُ يَلْعَبُ بِالعُقُولِ حَبَابُهَا كتلاعب الأَفْعَال بالأَسْمَاءِ

(من قطعة في وصف الخمر.)

قال العكبري: والبيت بناه على التورية.

(١٧٦) الآساس: جمع أس، قال أهل اللغة: الأس — وهو أصل البناء — يجمع على إساس مثل عس وعساس، وجمع الأساس: أسس، مثل قذال وقذل، وجمع الأسس: آساس. مثل سبب وأسباب. والدعائم: جمع دعامة؛ وهي عماد البيت، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة. يقول: كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطعنك الذي أعملته فيهم؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم.

(١٧٧) جعل القلعة والروم خصمين، والمنايا في الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم — وهو القلعة — بالسلامة، فلم تترك لهم سبيلًا إلى هدمها، وحكمت على الظالم — وهو الروم — بالهلاك فأبادتهم.

(١٧٨) السرى: سير الليل. والجياد: الخيل. يقول: أتوا مدججين في السلاح، ولكثرة الحديد عليهم وعلى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها، أي لا ترى؛ لأنها محجبة بالتجافيف التي على الخيول.

(١٧٩) البرق: اللمعان. والبيض: السيوف. وبرقوا: يعني الروم. يقول: إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم؛ لأن عمائمهم الخوذ وثيابهم الدروع، فهم كالسيوف، فقوله ثيابهم من مثلها: أي من مثل السيوف، يعني من الحديد. قال العكبري: وأشار بهذا الوصف — أعني كثرة سلاح هذا الجيش — إلى قوته. وعبارة بعض الشراح: إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم؛ لأن أبدانهم مغطاة بالدروع ورءوسهم بالخوذ، وكلها من الحديد، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها، وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة؛ لأنها تلبس في أمكنتها. قال العكبري: وسمعت بعضهم — وكان شيخنا يقرأ عليه هذا الديوان — يقول: أخطأ أبو الطيب، كيف ذكر العمائم والعمائم للعرب وليست للروم، فكيف جعلها للروم؟

فضحكت من قوله وقلت له: الضمير في «مثلها» إلى أين يعود؟ أليس إلى البيض، وهي السيوف؟ فلم يدر ما قلت.

(١٨٠) الخميس: الجيش العظيم؛ سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبًا وجناحين. والزحف: التقدم، وأصله المشي مع تثاقل. والجوزاء: نجمان معترضان في جوز السماء؛ أي وسطها، وهما من البروج. والزمازم: الأصوات التي لا تفهم لتداخلها، وأصل الزمزمة: صوت الرعد، وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة. يقول: إن هذا الجيش لكثرته طبق الأرض، وبلغت أصواته السماء. قال الواحدي: وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج؛ لأنها على صورة إنسان. قال الشراح: ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبي تمام:

ملأ الملا عُصبًا فكَاد بأَنْ يُرَى لَا خَـلْـفَ فِـيـه ولا لـه قُـدَّامٌ

(١٨١) اللسن: اللغة، واللسان أيضًا. والحداث: جمع حادث، بمعنى متحدث. ومنه قول المجنون:

أتيْتُ مع الْحُدَّاثِ ليلى فلم أُبِنْ فأَخْلَيْتُ فاستَعْجَمْتُ عِند خلائِي
ذهبْتُ فلم أصبرْ وعُدْتُ فَلَمْ أُبِنْ جوابًا كِلا اليومينِ يومُ بلائِي

(قال الزجاجي في أماليه: أخليت: وجدتها خالية، مثل أجبنته؛ أي وجدته جبانًا. فعلى هذا يكون مفعول «أخليت» محذوفًا: أي أخليتها. وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور هكذا منسوبًا إلى عتي بن مالك العقيلي، وفي «المحكم»: عند خلائيا وبلائيا.)

وقول سويد بن أبي كاهل:

يُسْمِعُ الْحُدَّاثَ قولًا حسنًا لو أرادوا غيره لم يستطعْ

والتراجم: جمع ترجمان — بفتح التاء، وبضمها اتباعًا لضم الجيم — يقول: اجتمع في هذا الجيش كل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات، فإذا كلم جيل منهم من ليس من أهل لغته احتاج إلى مترجم يترجم له، وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة.

(١٨٢) عنى بالغش: الضعاف من الرجال والأسلحة. والصارم: السيف القاطع. والضبارم: الشجاع الجريء، وأصله الأسد الشديد الغليظ. يتعجب من ذلك الوقت الذي قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم، يقول: ما كان مموهًا مغشوشًا هلك وتلاشى لرداءته كأنه ذاب بنار الحرب، ولم يبقَ من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم. وبعبارة أخرى: إن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئًا، ولم يبقَ إلا كل سيف صارم ورجل شجاع.

(١٨٣) يقول: تكسر من السيوف ما لم يكن ماضيًا يقطع الدروع والرماح، وهرب الجبناء الذين لا يقدرون على المصادمة. ومن روى: «فقطع» أراد الوقت، يعني أن الوقت كان صعبًا لم يبقَ معه إلا الخُلَّص من الرجال والأسلحة.

(١٨٤) الردى: الهلاك. يقول: وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت؛ لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه، حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فَسَلِمْتَ. قال الواحدي: سمعت الشيخ أبا معمر الفضل بن إسماعيل القاضي يقول: سمعت القاضي أبا الحسين علي بن عبد العزيز يقول: لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذي بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزي البيتين على صدريهما، وقال له: كان ينبغي أن تقول:

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

ثم قال: وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله:

كأني لم أركب جوادًا لِلَذَّةٍ ... ولم أتبطَّن كاعِبًا ذاتَ خلخالِ
ولم أَسْبأِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أَقُلْ ... لخيلي كُرِّي كَرَّة بعد إجفالِ

قال: ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني، وعجز الثاني مع الأول، ليستقيم الكلام، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالسكر، ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب. فقال أبو الطيب: أدام الله عز مولانا، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك؛ لأن البزاز

يعرف جملته، والحائك يعرف جملته وتفصيله؛ لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسًا، وعينه من أن تكون باكية: قلت:

ووجهك وضاح وثغرك باسم

لأجمع بين الأضداد في المعنى. فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارًا من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار. قال الواحدي: ولا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من بيتي المتنبي؛ لأن قوله:

كأنك في جفن الردى وهو نائم

هو معنى قوله:

وقفت وما في الموت شك لواقف

فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر؛ لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحدق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته، فهذا هو حقيقة الموت. وقوله: «تمر بك الأبطال» هو النهاية في التطابق للمكان الذي تُكْلَم فيه الأبطال فتكلح وتعبس، وقوله: «ووجهك وضاح» لاحتقار الأمر العظيم.

(١٨٥) كلمى: جمع كليم، بمعنى جريح. وهزيمة: أي منهزمة، وهو من باب فعيل بمعنى مفعول، والتاء فيه للجمع، على مذهب البصريين. ووضاح: مشرق. والمعنى ظاهر، ولكن الإمام العكبري أبى إلا أن يفسر البيت بعبارته المسجوعة الجميلة، قال: أي تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين، وكلمى مستسلمين، وذلك لا يثني عزمك، ولا يضعف نفسك، بل كنت حينئذٍ وضاحًا غير متخوف، وبسامًا غير متضجر، واثقًا من الله بنصره، متيقنًا بما وصلك به من جميل صنعه. قال: وهذا كما قال مسلم بن الوليد:

يفترُّ عندَ اقتراب الحرب مُبتسمًا إذا تغيرَ وَجهُ الفارس البطلِ

(١٨٦) النهى: جمع نهية؛ وهي العقل. وإلى قول قوم: صلة «تجاوزت»، وتتمة البيت: مفعول القول. يقول: أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب، وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها. يعني أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة، وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكفي في مثله العقل والرصانة، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك، فلبثت في تلك الحال وضاحًا بسامًا لا تكترث لما تراه حولك من الأهوال. قال ابن جني في تعليقاته على هذا البيت: في آخره بعض التنافر لأوله؛ لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينًا؛ لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة لكان أليق بعلم الغيب، إلا أنه كان في ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها. ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر الموت.

(١٨٧) يريد بالجناحين: ميمنة الجيش وميسرته، وهما جانبا العسكر، ولما سماهما جناحين جعل رجالهما خوافي وقوادم. والجناح: يشتمل على القوادم وهي من الريش ما فوق الخوافي، قيل: إنها عشر ريشات في مقدم جناح الطائر، وعليها معوله في طيرانه، والخوافي: ما تحت القوادم. يقول: لففت جناحي العسكر — عسكر الروم — على القلب فأهلكت الجميع. وقوله: تموت الخوافي تحتها: أي تموت تحت مثل هذه الضمة؛ ولذلك عبر بالمضارع.

(١٨٨) بضرب: متعلق بضممت. والهامات: الرءوس. واللبات: النحور. يريد سرعة انتصاره عليهم، يقول: لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك. وقال ابن جني: إذا ضربت عدوًّا فحصل سيفك في رأسه لم تعتد ذلك نصرًا ولا ظفرًا، فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته، فحينئذٍ يكون ذلك عندك نصرًا ولا يرضيك ما دونه. وعبارة ابن فورجة — وهي في عراض ما قلناه: إنما عنى أبو الطيب سرعة وقوع النصر، وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف المضروب به من الهامة إلى اللبة، كأنه يقول: نازلت العدو والنصر غائب، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر.

(١٨٩) الردينيات: الرماح، نسبة إلى ردينة، امرأة باليمامة كانت هي وزوجها يعملان الرماح. يقول: تركت القتال بالرماح وازدريتها؛ لأنها سلاح الجبناء، أما سلاح

الشجعان فهو السيف، لاقتضائه مقاربة ما بين الفريقين في القتال؛ لهذا عمدت إليه واخترته. ولما آثرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعير الرمح؛ لأنه يطعن من بعيد، والسيف من قريب، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء. وعبارة العكبري — التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردها لجمالها — قال: إنك طرحت الرماح واستقللت فعلها، وعدلت إلى السيوف عالمًا بفضلها، واعتمدتها لخبرتك بأمرها، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وإهانتها تسخطًا لفعلها.

(١٩٠) البيض: السيوف. والخفاف: المرهفة. والصوارم: القواطع. ومفاتيحه: أي مفاتيح الفتح.

(١٩١) الأحيدب: جبل الحدث. ونثرتهم: فرقتهم. يقول: نثرت جثثهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس؛ يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم إذا نثرت. قال العكبري: وهذا من محاسن أبي الطيب، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم في الروم قتلًا وأسرًا، ونثر جيشهم فوق هذا الجبل نثرًا.

(١٩٢) وكر الطائر: موضع مبيته، والجمع: وكور. والذرا: أعالي الجبال. يقول: إنك تتبعهم بخيلك في رءوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تكثر مطاعم الطير حول وكورها. وعبارة بعض الشراح: تدوس بك الخيل في آثار الروم وكورَ الطير في رءوس الجبال وقنن الأوعار، وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور بكثرة من قتلته هنالك فرسانك، ومن أهلكه من الروم جيشك وغلمانك، وأشار بذلك — أي كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاح مواضعها وامتناع أماكنها — إلى ما كان الروم عليه من شدة الهرب، وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب، وأنهم قتلوهم في رءوس الجبال، وأدركوهم في أبعد غايات الأوعار.

(١٩٣) الفتخ: جمع فتخاء؛ إناث العقبان، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران، والفتخ: لين المفاصل. والأمات: جمع أم فيما لا يعقل، وقد جاء فيه: أمهات؛ حملًا على من يعقل. والعتاق: كرام الخيل. والصلادم: جمع صلدم، وهي الفرس الشديدة الصلبة. يقول: تظن فراخ العقبان — لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها — أنها أمهاتها. يعني أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمرًا، كما قال:

نظرُوا إلى زُبَرِ الحديد كأنما يَصْعَدْنَ بينَ مناكِب العِقْبَانِ

وقال ابن الإفليلي: تظن فراخ العقبان؛ لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى، أنك زرتها بأماتها فأمددتها بمطاعمها وأقواتها، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك، وكثرة كتائب جيشك.

(١٩٤) الصعيد: وجه الأرض. والأراقم: الحيات فيها سواد وبياض. يقول: إذا زلقت الخيل في صعودها الجبال جعلتها تمشي على بطونها في تلك المزالق مشي الحيات على بطونها في الصعيد. يصف صعوبة مراقيها في الجبال.

(١٩٥) الدمستق: صاحب جيش الروم. وأقدم: خلاف أدبر. وقوله: قفاه — إلى آخر البيت — حال من الضمير في «مقدم». يقول: أكل يوم يقدم عليك الدمستق، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلًا له: لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب في قفاه.

(١٩٦) الليث: الأسد. ويذوقه: معناه يجربه ويختبره — يقال: ذاق ما عند فلان؛ أي جربه — والضمير: لليث. يشير إلى أن الدمستق أجهل من البهائم؛ لأن البهائم إذا شمت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم، وهذا على طريق التمثيل، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة، ومبلغ شجاعته، فيأتيه مقاتلًا ثم ينهزم، ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان أحزم.

(١٩٧) فجعه: رزأه بشيء يكرم عليه، وجمع فَعْلَة: فَعَلات — بفتح العين في الصحيح — وإنما أسكن الميم من حملات ضرورة. والصهر: أهل بيت المرأة. ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان، وأهل بيت المرأة أصهار، يقال: صاهرت القوم: إذا تزوجت فيهم، وأصهرت بهم: إذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج. وقال ابن الأعرابي: الصهر: زوج بنت الرجل وزوج أخته، والختن: أبو امرأة الرجل وأخو امرأته. ومن العرب من يجعلهم أصهارًا كلهم، ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعًا. والغواشم: التي لا تبالي من أخذت. يقول: هلا اعتبر بمن رزئه من هؤلاء فلا يجترئ على العود إلى الإقدام؟ وعبارة العكبري: يريد أن حمَلات سيف الدولة فجعت الدمستق بابنه وأصهاره، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران، الغواصب لأنفس الفرسان، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض له ما أسلف سيف الدولة من الإيقاع؟

(١٩٨) الظبا: جمع ظبة؛ حد السيف. والهام: الرءوس. والمعاصم: جمع معصم؛ أطراف السواعد. يقول: انهزم وهو يشكر أصحابه؛ لأن السيوف اشتغلت بهم عنه، فكأنهم وقوه السيوف برءوسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف.

(١٩٩) المشرفية: السيوف. قال أهل اللغة: المشارف: قرى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرفية منسوبة إليها، يقال: سيف مشرفي ولا يقال مشارفي؛ لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن، لا يقال مهالبي ولا جعافري ولا عباقري. يقول: إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنها تقتلهم، فجد في الهرب، مع أن أصوات السيوف عجماء؛ أي ليست ذات لفظ يفهم. والمعنى: إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون.

(٢٠٠) يقول: إن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته؛ لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له، إذ نجا هو واشتغل عسكرك بها عنه، وليس سروره جهلًا بحالته، وإن الذي انتهبت أمواله ليس من شأنه أن يسر، ولكنه حين نجا برأسه غانم وإن كان مغنومًا؛ أي لا يبالي بغيره إذا نجا هو، لأن المسلوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب. قال العكبري. وهذا مثل قول بسطام بن قيس في المثل: السلامة إحدى الغنيمتين.

(٢٠١) التوحيد: خبر أول لـ «لكن»، وهازم: خبر ثانٍ. يقول: لست في هزمك الدمستق ملكًا هزم ملكًا مثله، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك؛ لأنك سيف الإسلام وزعيمه، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه، فكلاكما زعيم ملته.

(٢٠٢) الضمير في «به»: لمليك: قال العكبري: ولو كان بدل الهاء «كاف» لكان أجود حتى يكون مخاطبًا، وعدنان: أبو العرب. وربيعة: بطن من عدنان؛ وهي قبيلة سيف الدولة. والعواصم: بلاد قصبتها أَنْطَاكِيَة. يقول: إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم، وليس يفتخر بك رهطك فقط، وأنت فخر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا.

(٢٠٣) يريد بالدر: شِعره. يقول: المعاني لك واللفظ لي، فأنت تعطيني المعاني بأفعالك ومناقبك، وأنا أنظمها بتقييدها فيه. وفي مثل هذا يقول ابن الرومي:

ودُونك من أقاوِيلي مَدِيحًا غَدا لَكَ دُرُّهُ وَلِيَ النظامُ

(٢٠٤) تعدو: تجري وتسرع. والوغى: الحرب. يقول: إني أمتطي في الغزو خيلك التي أعطيتنيها، فلست مذمومًا في أخذها؛ لأني شاكر أياديك ناشر ذكرك، ولستَ أنت نادمًا على ما أعطيتني؛ لقيامي بحق ما أوليتني.

(٢٠٥) «على»: صلة تعدو، ولك أن تجعلها من صلة «نادمًا»؛ أي لست نادمًا على هبتك لي كل فرس طيار، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال: أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال في الحرب طار إليها برجله عوض الجناح. يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة. والغماغم: الأصوات المختلطة، هي أصوات المتحاربين. وما أبدع قول ابن المعتز — ولعل بيت المتنبي ينظر إليه:

وليلٍ ككُحل العينِ خُضتُ ظلامه بـأَزْرَقَ لَـمَّـاعٍ وَأَخـضـرَ صـارِمِ
وطـيـارَةٍ بـالـرجْـل خـوفًـا كـأنـمـا تُصَافِحُ رَضراضًا الحصى بالجماجِمِ

(٢٠٦) يقول: أنت السيف لا يتضمنه غمد؛ إذ هو دائمًا مجرد على أعدائه، وليس يرتاب — يشك — في هذا أحد، ولا يعصم — لا يحمي ولا يمنع — منك شيء، لا حصن ولا حديد. ويروى: لست وفيك ومنك.

(٢٠٧) الهام: الرءوس. والعلا: المراتب العالية. وأنك سالم: فاعل هنيئًا، وهي حال محذوفة العامل، والأصل: ثبت هنيئًا، فحذف الفعل وقامت الحال مقامه. وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئًا بأوفى من هذا. يقول: لتهنأ هذه المذكورات بسلامتك؛ لأنك قوامها، فضرب الهام أنت أحذق الناس به، والمجد أنت أكسب الناس له، والعلا أنت جامع شملها وراجي مكارمك التي لا تمطل بفضلها، والإسلام لأنك أعززته.

(٢٠٨) لِم: استفهام إنكار، وأصلها: «لم» بفتح الميم فسكنها، وهو مخصوص بالضرورة. و«ما» من قوله «ما وقى»: ظرفية زمانية. وتفليقه: حال من الرحمن. يقول: لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيانته للأشياء — أي أبدًا — وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه؟

(٢٠٩) راع: أفزع وخوف. والاستفهام استفهام تعجب. وكذا: نائب مفعول مطلق؛ أي روعًا كهذا الروع الذي أرى! والهمام الملك العظيم الهمة. وسح الماء: صبه. يقول: هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك؟ وجعل توالي الرسل إلى حضرته كسح الغمام، يعني هل أفزع ملك قبله كل الملوك فزعًا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام؟

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها، فتوجه نحو العراق، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك، فانحدر إلى بغداد، وكانت جدته قد يئست منه، فكتب إليها كتابًا يسألها المسيرَ إليه، فقبَّلت كتابه، وحُمَّت لوقتها سرورًا به، وغلب الفرح على قبلها فقتلها، فقال يرثيها:

أَلَا لَا أُرِي الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمَّا
فَمَا بَطْشُها جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا[٦١٤]
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى
يَعُودُ كَمَا أُبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى[٦١٥]
لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا
قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا[٦١٦]
أَحِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا
وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا[٦١٧]
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا
وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا[٦١٨]
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ
مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا[٦١٩]
عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا
فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا[٦٢٠]
مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا[٦٢١]
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فَمَاتَتْ سُرُورًا بي فَمُتُّ بِهَا غَمَّا[٦٢٢]
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَّنِي
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا[٦٢٣]
تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا
تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا[٦٢٤]

وَتَـلْـثَـمُـهُ حَـتَّـى أَصَـارَ مِـدَادُهُ
مَـحَـاجِـرَ عَـيْـنَـيْـهَـا وَأَنْـيَـابَـهَـا سُـحْـمَـا[٦٢٥]
رَقَـا دَمْـعُـهَـا الْـجَـارِي وَجَـفَّـتْ جُـفُـونُـهَـا
وَفَـارَقَ حُـبِّـي قَـلْـبَـهَـا بَـعْـدَ مَـا أَدْمَـى[٦٢٦]
وَلَـمْ يُـسْـلِـهَـا إِلَّا الـمَـنَـايَـا وَإِنَّـمَـا
أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا[٦٢٧]
طَـلَـبْـتُ لَـهَـا حَـظًّـا فَـفَـاتَـتْ وَفَـاتَـنِـي
وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا[٦٢٨]
فَـأَصْـبَـحْـتُ أَسْـتَـسْـقِـي الْـغَـمَـامَ لِـقَـبْـرِهَـا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا[٦٢٩]
وَكُـنْـتُ قُـبَـيْـلَ الْـمَـوْتِ أَسْـتَـعْـظِـمُ الـنَّـوَى
فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتِ الْعُظْمَى[٦٣٠]
هَـبِـينِـي أَخَـذْتُ الـثَّـأْرَ فِـيـكِ مِـنَ الْـعِـدَا
فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الْحُمَّى؟![٦٣١]
وَمَـا انْـسَـدَّتِ الـدُّنْـيَـا عَـلَـيَّ لِـضِـيـقِـهَـا
وَلَـكِـنَّ طَـرْفًـا لَا أَرَاكِ بِـهِ أَعْـمَـى[٦٣٢]
فَـوَا أَسَـفَـا أَنْ لَا أُكِـبَّ مُـقَـبِّـلًا
لِـرَأْسِـكِ وَالـصَّـدْرِ اللَّـذَيْ مُـلِـئَـا حَـزْمَـا[٦٣٣]
وَأَنْ لَا أُلَاقِـي رُوحَـكِ الـطَّـيِّـبَ الَّـذِي
كَـأَنَّ ذَكِـيَّ الـمِـسْـكِ كَـانَ لَـهُ جِـسْـمَـا[٦٣٤]
وَلَـوْ لَـمْ تَـكُـونِـي بِـنْـتَ أَكْـرَمِ وَالِـدٍ
لَـكَـانَ أَبَـاكِ الـضَّـخْـمَ كَـوْنُـكِ لِـي أُمَّـا[٦٣٥]
لَـئِـنْ لَـذَّ يَـوْمُ الـشَّـامِـتِـيـنَ بِـيَـوْمِـهَـا
فَـقَـدْ وَلَـدَتْ مِـنِّـي لِأَنْـفِـهِـمِ رَغْـمَـا[٦٣٦]
تَـغَـرَّبَ لَا مُـسْـتَـعْـظِـمًـا غَـيْـرَ نَـفْـسِـهِ
وَلَا قَـابِـلًا إِلَّا لِـخَـالِـقِـهِ حُـكْـمَـا[٦٣٧]

وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا[٦٣٨]
يَقُولُونَ لِي: مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ؟
وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى[٦٣٩]
كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي
جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا[٦٤٠]
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي
بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا[٦٤١]
وَلَكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ
وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا[٦٤٢]
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي
وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا[٦٤٣]
إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفُ بُعْدِهِ
فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا[٦٤٤]
وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا
بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا[٦٤٥]
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهِهَا قُدْمَا[٦٤٦]
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي
وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا[٦٤٧]

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة، فسار إليه، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فمدحه بهذه القصيدة:

أَنَا لَائِمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلكَ الْمَعَالِمِ[٦٤٨]
وَلَكِنَّنِي مِمَّا شُدِهْتُ مُتَيَّمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بَائِحٌ مِثْلُ كَاتِمِ[٦٤٩]

(٦١٠) يصفه بتقوى الله وخشيته، يقول: كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لو واصلته، لكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله، فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لوامًا يلومونك فيما لا يوافق مقتضاها، وقد أكد هذا بالبيت التالي.

(٦١١) يقول: نزاهتك وتباعدك عن الآثام رفعا قدرك عن مواصلته، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التي تسعى فيها.

(٦١٢) القريض: الشعر، من قرض الشيء؛ إذا قطعه، كأن المرء يقطعه من فكره، والتقريض: صناعة القريض، وفي المثل: حال الجريض دون القريض. الجريض: الغصص. والقريض: الشعر، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص، قاله للمنذر حين أراد قتله في يوم بؤسه فقال له: أنشدني من قولك. فقال عند ذلك: حال الجريض دون القريض. وقال الجوهري: القريض قول الشعر خاصة، يقال: قرضت الشعر أقرضه إذا قلته، والشعر قريض، قال ابن بري: وقد فرق الأغلب العجلي بين الرجز والقريض بقوله.

أرجزًا تُرِيدُ أَمْ قريضَا؟ كِلَيْهِمَا أَجِيدُ مُستَرِيضَا

«مستريضا: أي واسعًا ممكنًا، من استراض المكان؛ أي فسح واتسع.» وهذى يهذي هذاء وهذيانًا: إذا قال قولًا لا طائل له. والأحكام: جمع حكم بمعنى حكمة، والبيت من الحديث: «إن من الشعر لحكمًا»؛ أي حكمة.

(٦١٣) منه: أي من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراعة؛ أي ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق، ومنه ما يجلبه البرسام أي ما يكون عن مرض وهذيان. فقوله: ما يجلب: أي ما يجلبه. والبرسام: علة معروفة، يقال: برسم؛ إذا خلط في مرضه.

(٦١٤) الأحداث: نوب الدهر ومصائبه. والبطش: الأخذ بغلبة وقوة. يقول: لا أحمد الحوادث السارة ولا أذم الضارة؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذتنا لم يكن ذلك جهلًا منها، وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حلمًا؛ يعني أن الفعل في جميع ذلك ليس لها، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة ومجازًا.

(٦١٥) أبدي: هي أبدئ: أي أبداه الله — أي خلقه — فأصله الهمز، ولينه للضرورة. وأكرى الشيء: نقص. وأرمى: أربى وزاد. يقول: إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم، ويعود إلى حالته الأولى كما أبدئ، وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد. وإذن لا ذنب للحوادث حتى أذمها أو أحمدها. هذا، وأكرى — كما أنه بمعنى زاد — أتى

بمعنى نقص، فهو من الأضداد، يقال: أكرى الرجل: قل ماله أو نفد زاده، وقد أكرى زاده: أي نقص، قال لبيد:

كَذِي زادٍ متى ما يُكْرِ منهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزَادِ

وقال آخر يصف قدرًا:

يُقسِّم ما فيها فإنْ هِيَ قَسَّمت فذاكَ وَإنْ أَكْرت فَعَنْ أَهْلها تُكْري

«قسمت: همت في القسم. وإن أكرت: أراد وإن نقصت، فعن أهلها تنقص؛ أي القدر.»

(٦١٦) لك الله: دعاء لها. و«من» — من مفجوعة: زائدة، ومفجوعة، في موضع نصب على التمييز. والوصم: العيب، وعنى بحبيبها: نفسه. يدعو لها ويقول: هي مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه، وليس هذا الشوق مما يلحق بها عيبًا؛ لأنه شوق الأم إلى ولدها.

(٦١٧) يريد بالكأس التي شربت بها: كأس الموت. ومثواها: مقامها؛ يعني القبر. يقول: لا أحب البقاء بعدها وأحب — لأجل مقامها في التراب — التراب وما ضمه التراب؛ يعني شخصها أو كل مدفون في التراب، وحبه التراب: يجوز أن يكون حبًّا للدفن فيه، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه. هذا، والكأس مؤنثة، وجمعها: كئوس وأكؤس وكئاس، قال أهل اللغة: الكأس الزجاجة ما دام فيها خمر، فإذا لم يكن فيها خمر فهي قدح. قال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾، وقال أمية بن أبي الصلت:

مَا رغبةُ النفسِ في الحياة وإن تحيا قليلًا فالموتُ لاحِقُها
يُوشكُ من فَرَّ من منيَّتِهِ في بعضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُها
من لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هرَمًا للموتِ كَأْسٌ وَالمَرْءُ ذَائِقُها

(قال ابن بري: عبطة: أي شابًّا في طراءته، وانتصب على المصدر؛ أي موت عبطة وموت هرم، فحذف المضاف، وإن شئت نصبتهما على الحال: أي ذا عبطة وذا هرم، فحذف المضاف أيضًا، وأقام المضاف إليه مقامه.)

(٦١٨) الثكل: الفقد. وقدمًا: قديمًا. يقول: كنت أبكي عليها في حياتها خوفًا من فقدها، وضرب الدهر من ضرباته وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت. قالوا: وفي المصراع الأول نظر إلى بيت الحماسة:

فيبكِي إن نأوا شوْقًا إليْهم ويبكي إن دَنَوْا خوف الفراق

(من أبيات جميلة منها:

وَمَا في الأرضِ أشقَى من محِبٍّ وَإنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلْوَ المَذَاق
تـراهُ بـاكِيًـا فِـي كُلِّ حِـيـن مـخـافَـةَ فُـرْقـةٍ أَو لاشـتـيَـاق
فـيـبـكـي ... ... [الـبـيـت]

وبعده:

فتسخُن عينُهُ عند التنائِي وَتَسْخُن عينهُ عند التلاقي)

(٦١٩) أجد: بمعنى جدد. والصرم: القطيعة. يقول: لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجري لقتل بلدها أيضًا؛ يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى أهله من الإفضال، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض. قال بعض الشراح: وقد نفى في هذا البيت ما أثبته في قوله:

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ

(٦٢٠) يقول: كنت عالمًا بالليالي وتفريقها بين الأحبة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهتني هذه المصيبة لم تزدني بها علمًا. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها. ومن قول أبي تمام:

حلَّمَتْنِي — زَعَمْتُمُ — وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حليمَا

ومن قول بعض العرب، وقد مات ولده فلم يجزع، فقيل له في ذلك، فقال: أمر كنا نتوقعه، فلما وقع لم ننكره.

(٦٢١) قال ابن فورجه: الضمير في «منافعها» للمرثية؛ يعني أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها. ثم جعل المصراع الثاني تفسيرًا للمصراع الأول، فقال: غذاؤها وريها في أن تجوع وتظمأ؛ لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شعبها وريها. وعلى هذا فقوله: «ما ضر» تقديره: ما ضرها، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل «ضر». وقال الواحدي: الضمير في «منافعها» لليالي والأحداث؛ يعني أن منافع الليالي في مضرة غيرها من الناس، ثم فسر ذلك فقال: غذاؤها وريها في أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ريها وشعبها في جوعنا وظمئنا. قال: ويروى: نجوع ونظما، بالنون على ما ذكرنا من التفسير، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظما بالتاء خبرًا عن الليالي. والمعنى: غذاؤها وريها جوعها وعطشها؛ أي لا ري لها ولا شبع، لأنها لا تروى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح. وتقدير «ما ضر في نفع غيرها»: ما أثر في نفع غيرها بالضرر، كأنه قال: منافعها في ضر غيرها.

(٦٢٢) الترحة: الاسم من الترح، وهو الحزن. يقول: اشتد حزني عليها فكأني مت بها غمًّا، وماتت هي من شدة سرورها بحياتي بعد إياسها مني.

(٦٢٣) يقول: السرور حرام عليَّ؛ فإنني بعد موتها بالسرور أعده سمًّا فأتجنبه وأحرمه على نفسي.

(٦٢٤) تعجب — بحذف إحدى التاءين — أي تتعجب. والباء من قوله: «بحروف» للتجريد. والأغربة: جمع غراب. والعصم: جمع أعصم، وهو الذي في جناحه بياض، والغراب الأعصم نادر الوجود. قال التبريزي: إنها كانت تتعجب من كتابي — عند رؤيته — حتى كأنها تنظر إلى ما لا يوجد، كالغراب الأعصم، ووجه تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه، فلما نظرت إلى كتابه أكثرت النظر شغفًا به لا عجبًا حقيقيًّا. قال ابن جني: شبه البياض الذي بين الأسطر بالبياض في الغراب الأعصم.

(٦٢٥) المحاجر: ما حول العينين. وسحما: سودًا. يقول: لم تزل تقبل كتابي وتضعه على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودًا بمداده — حبره — هذا، ويقال: لثم فاها — بالكسر — إذا قبلها. وربما جاء بالفتح، قال عمر بن أبي ربيعة — وقيل لجميل بن معمر:

قالت: وعيشِ أبي وحُرْمةِ إخوتي لَأُنَبِّهنَّ الحيَّ إنْ لم تخرُجِ

فخرجْتُ خِيفةَ أهلها فتبسَّمَت فعلمْتُ أن يَمينَهَا لم تُحْرِجِ
فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِها شرب النزيف ببرْدِ ماء الحشرج

(النزيف: المحموم الذي منع من الماء. ونصب «شرب» على المصدر المشبه به؛ لأنه لما قبلها امتص ريقها، فكأنه قال: شربت ريقها كشرب النزيف للماء البارد. والحشرج: الماء الذي يجري على الرضراض صافيًا رقيقًا، والحشرج: كوز صغير لطيف.)

(٦٢٦) رقأ الدمع والدم: انقطع، فأصله الهمز، ولكنه لينه هنا للضرورة. يقول: لما ماتت انقطع ما كان يجري من دمعها على فراقي، ويبست جفونها عن الدمع، وسليت عني بعدما أدمى حبي قلبها في حياتها.

(٦٢٧) يقول: لم يسلها عني إلا الموت، وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعًا علي، ولكن الذي أذهب ذلك السقم كان أشد عليها من السقم، كما قال أبو تمام:

أقولُ، وقد قالُوا: استراح بمَوْتها مِنَ الكَرب: رَوحُ الْمَوت شَرٌّ مِن الكَرْب

ومثله له:

أجارَك المكروهُ مِن مثله فاقِرةٌ نَجَّتك من فاقِرة

(الفاقرة: الداهية الكاسرة لفقار الظهر.)

(٦٢٨) يقول: إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظًّا من الدنيا، ففاتتني هي بموتها، وفاتني ذلك الحظ؛ لأني لم أدركه، وكانت قد رضيت بي حظًّا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظًّا لي.

(٦٢٩) استسقى: طلب السقيا. والغمام: السحاب. والوغى: الحرب. والقنا: الرماح. والصم: الصلاب. يقول: بعد أن كنت أستسقي الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقي السحاب قبرها، فأقول: سقى الله قبرها — على عادة العرب في الدعاء للقبور بسقيا السماء — يعني تركت الحرب وجدًا بها واشتغلت بالدعاء لها. قالوا: وفيه نظر إلى قول الآخر:

وبرَغْمِي أصبحت أمنحك الودَّ وَأُهْدِي إليكَ صوب الْغَمامِ

(٦٣٠) قبيل: تصغير قبل. والنوى: البعد. يقول: كنت قبل موتها أستعظم فراقها، فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة؛ يعني أن موتها أعظم من فراقها.

(٦٣١) يقول: اجعليني واحسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلوك فكيف آخذ ثأرك من العلة التي قتلتك، وهي العدو الذي لا سبيل إليه. قالوا: وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان:

ولم يُغنِ عنكَ الموتُ يا حَمْزَ إذْ أتى رجالٌ بِأيديهم سُيُوفٌ قَوَاضِبُ

(حمز: ترخيم حمزة. وقواضب: قواطع.)

وأحسن فيه أبو الحسن التهامي:

لو كُنْتَ تُمْنَعُ خاض نَحْوكَ فِتيةٌ مِنَّا بحارَ عوامِلٍ وشِفار

(عوامل: جمع عامل، وعامل الرمح: صدره، والمراد: الرماح نفسها. والشفار: جمع شفرة، والشفرة: ما عرض من الحديد وحدد، والمراد: السيوف.)

(٦٣٢) يقول: إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك؛ لا لأن الدنيا قد ضاقت.

(٦٣٣) الألف من قوله «فوا أسفا»: للندبة. وأكب على الشيء: مثل انكب؛ أي انحنى على وجهه. واللذي: أراد اللذين، فحذف النون لطول الاسم بالصلة، وقيل: بل هي لغة في تثنية «اللذ»، وأنشدوا على ذلك قول الأخطل:

أبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا كسرا القُيود وفكَّكَا الأغْلالَا

(يفتخر الأخطل على جرير — وجرير من بني كلب — بمن اشتهر من بني تغلب ومنهم الأخطل، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند، وأبي حنش عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار يوم الكلاب الأول.)

وقول الأشهب بن رميلة — شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام:

وإن الذي حانت بِفلْج دِماؤُهُم هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُم خالِدِ

(بعده:

همو ساعِدُ الدهر الذي يُتقى به وما ضر كف لا ينوء بساعد

وفلج: طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة.)

يقول: ما أشد حزني أن لا أكب عليك مقبلًا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامة وعقلًا؛ يتأسف لغيبته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها.

(٦٣٤) يقول: ووا أسفى أني لا ألقى روحك الطاهر الذي كأن جسمه أي — جسم ذلك الروح — من المسك الذكي الشديد الرائحة.

(٦٣٥) الضخم: العظيم. والجدة: تسمى أمًّا. يقول: لو لم يكن أبوك أكرم والد لكانت ولادتك إياي بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه؛ أي إذا قيل لك: أم أبي الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب.

(٦٣٦) لذ: طاب. والشامت: الفرِح بمصيبة عدوه. وبيومها: أي بيوم موتها: ومني: تجريد. يقول: إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت مني من يرغم أنوفهم؛ أي يلصقها بالرغام — التراب — أي يذلهم ويقهرهم.

(٦٣٧) يقول: ولدت مني رجلًا تغرب عن بلاده؛ أي خرج عن بلده إلى الغربة، لأنه لا يستعظم غير نفسه، فأراد أن يغادر الذين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذي خلقه.

(٦٣٨) العجاجة: الغبار. يقول: ولا أسلك طريقًا إلا قلب غبار الحرب، ولا أستلذ طعم شيء إلا طعم المكارم؛ يعني لا أجد لذتي إلا في الحرب والمكارم.

(٦٣٩) ما أنت: قال بعض الشراح: أي ما أنت صانع؟ على حذف الخبر، أو: ما تصنع؟ على حذف الفعل وإبراز الضمير. وقال العكبري: «ما» واقعة على صفات من يعقل، فإذا قال: ما أنت؟ فالمراد: أي شيء أنت؟ فتقول: كاتب أو شاعر أو فقيه. يقول: يقول الناس لي لما يرون من كثرة أسفاري: أي شيء أنت فإنا نراك في كل بلدة وما الذي تطلبه؟ فأقول لهم: إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه، يعني قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم.

(٦٤٠) اليتما: مفعول لجلوب، والضمير في «معادنه» لليتم. يقول: إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم؛ أي فهم لذلك يبغضونني.

(٦٤١) الجد: الحظ والبخت. يقول: إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم؛ أي فهما لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان، وهذا كالتفسير لقول الحمدوني:

إنَّ المُقَدَّم في حِذْقٍ بَصَنْعَتِهِ أنَّى توجَّهَ فيها فهوَ محْرُومُ

وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح.

(٦٤٢) بذبابه: أي بذباب السيف، وإن لم يتقدم له ذكر، لدلالة المقام، وذباب السيف: حده. والغشم: الظلم. يقول: لكنني إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم في كل حال. يعني أظلم أعدائي بسيفي.

(٦٤٣) القرم في الأصل: البعير الذي لا يحمل عليه وإنما يعد للفحلة، وهو هنا السيد. يقول: وأحيي أعدائي يوم الحرب بسيفي؛ أي أجعله لهم بدل التحية، كما قال عمرو بن معديكرب:

وخيلٍ قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وَجيعُ

(المراد بالخيل: الفرسان. ودلفت: دنوت وزحفت، من دلف الشيخ: إذا مشى مشيًا لينا. وتحية: مضاف، وبينهم: مضاف إليه مجرور بكسر النون؛ لأنه ظرف منصرف. ووجيع بمعنى موجع. والعرب تقول: تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا.)

(٦٤٤) فل: يروى بالفاء وبالقاف، فبالفاء يرتفع «خوف» لأنه فاعل، وبالقاف ينتصب على المفعول له. وفل السيف: ثلمه، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف. والمدى: الغاية. وأبعد شيء: مبتدأ، خبره: ممكن. يقول: إذا أَضعف عزمي عن غايةٍ خوفُ بُعْدِ تلك الغاية، فإن الممكن وجوده لا ينال أيضًا إذا لم يكن لدى طالبه عزم؛ يعني لا يُدرَك شيءٌ ألبتة إلا بالعزم عليه، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم، فاعزم أيضًا على البعيد لتناله ولا يمنعك منه خوفُ بُعده؛ فإنه يقرب بالعزم ويمكن.

(٦٤٥) الأنف: الاستنكاف من الشيء. يقول: إني من قوم ديدنهم التعرض أبدًا للحرب ليقتلوا، فكأن نفوسنا ترى السكنى في أجساد هي لحم وعظم عارًا تأنف منه، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها للتخلص من هذا العار؛ أي تختار القتل على الحياة. قال الواحدي: ولو قال: كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ الغيبة، لكنه قال: نفوسنا؛ لأنهم هم القوم الذين عناهم، ولأن هذا أمدح.

(٦٤٦) الكرائه: جمع كريهة، فعيلة بمعنى مفعولة. يقول — للدنيا: أنا كما وصفت نفسي لا أقبل ضيمًا ولا أسف لدنية، فاذهبي عني إن شئت فلست أبالي بك. ويا نفس زيدي قدمًا — أي تقدمًا — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها. قال الواحدي: وإن شئت قلت: في كرائهها — أي في كرائه أهلها — يعني زيدي تقدمًا في الحروب، وهي — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا؛ ولذلك تسمى الحرب الكريهة، فيكون الكلام من باب حذف المضاف.

(٦٤٧) يقول: لا مرت بي ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزًا، ولا صحبتني نفس تقبل أن يظلمها أحد.

(٦٤٨) أنا لائمي: أي أنا لائم نفسي إن كنت ... إلخ، وأثبت ألف «أنا»: ضرورة لأنها لا تثبت لفظًا إلا في الوقف. وقوله: وقت اللوائم: أي وقت لوم اللوائم. والمعالم: أي معالم ديار الأحبة، وهي حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والخيام. يذكر وقوفه على ديار الأحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم؛ مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء. يقول: إن كنتُ حين تلومني اللوائم على فرط جزعي علمت ما بي وما الذي دهاني هناك، فأنا لائمي: أي فأنا لائم نفسي في قصور محبتي؛ لأن ثبات علمي وعقلي معي في ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواي قاصر. وقال بعض الشراح. يعني: إن كنت حين لامتني اللوائم على فرط جزعي وبكائي علمت بما عراني من ذلك فأنا لائم نفسي على تهتكي واستسلامي للوجد والعبرة، يذكر وقوفه في ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انهتك ستره ولم يعلم.

(٦٤٩) شده الرجل — كدهش — فهو مشدوه: إذا تحير، ويروى: مما ذهلت. و«ما» قبله: مصدرية. والمتيم: الذي تيمه الحب؛ أي عبده وذللــه. يقول: ولكنني من فرط دهشتي ذهلت عن إدراك ما خامرني من الوجد، فصرت كالسالي، وباح قلبي بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باقٍ على الكتمان. وعبارة الواحدي: ولكنني من فرط دهشتي وذهولي حتى كأنني ذهلت عن الهوى صرت كالسالي مع أني متيم. وباح قلبي بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالكاتم؛ لأنه لم يقصد البوح ولا يدري ما فعل.

(٦٥٠) الأذواد: جمع ذود، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل. يقول: أطلنا الوقوف هناك، فكأن ما في قلوبنا من الوجد حل في قوائم إبلنا؛ لأنها وقفت ولم تبرح.

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية في سنة ست وثلاثين، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيغلغ. وكان جاهلًا، وكان يجالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة، فقالوا له: أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك؟! وجعلوا يغرونه، فراسله أن يمدحه، فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحدًا إلى مدة، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة، وأخذ عليه الطريق وضبطها. ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه في مدة أربعين يومًا، فهجاه أبو الطيب، وأملاها على من يثق به. فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق، فأتبعه ابن كيغلغ خيلًا ورجلًا، فأعجزهم وظهرت القصيدة، وهي:

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ ... عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ[٦٩٥]

يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَغَى ... لَأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ

يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ[٦٩٦]

رَاعَتْكِ رَائِعَةُ البَيَاضِ بِعَارِضِي ... وَلَوَ انَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأَسْحَمُ[٦٩٧]

لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي سَفَرْتُ عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَثُّمُ[٦٩٨]

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى ... يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ[٦٩٩]

وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ[٧٠٠]

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ[٧٠١]

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَى الَّذِي يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ[٧٠٢]

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ ... وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ[٧٠٣]

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ[٧٠٤]

يُؤْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللِّئَامِ بِطَبْعِهِ ... مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلْؤُمُ[٧٠٥]

الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ[٧٠٦]

يَحْمِي ابْنَ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ ... مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ[٧٠٧]

أَقِمِ المَسَالِحَ فَوْقَ شُقْرِ سُكَيْنَةٍ ... إِنَّ المَنِيَّ بِحَلْقَتَيْهَا خِضرِمُ[٧٠٨]

وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ ... وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ[٧٠٩]

وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ وَطَيْشُكَ نَفْخَةٌ ... وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ[٧١٠]

وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّمَا ... تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقْدِمُ[٧١١]

وَمِنَ البَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي ... عَنْ غَيِّهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ[٧١٢]

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ ... تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءٍ يُلْجَمُ[٧١٣]
وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا ... مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرِمُ[٧١٤]
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ[٧١٥]
يَقْلِي مُفَارَقَةَ الْأَكُفِّ قَذَالُهُ ... حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ[٧١٦]
وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا ... وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ[٧١٧]
وَالذُّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً ... وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الْأَرْقَمُ[٧١٨]
وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ[٧١٩]
أَرْسَلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً ... صَفْرَاءُ أَضْيَقُ مِنْكَ مَاذَا أَزْعُمُ؟![٧٢٠]
أَتُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكَسُّبًا ... يَا ابْنَ الْأُغَيِّرِ وَهْيَ فِيكَ تَكَرُّمُ[٧٢١]
فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا ... وَلَشَدَّ مَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ[٧٢٢]
وَأَرَغْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا ... إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ[٧٢٣]
وَلِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِبَابِهِ ... تَدْنُو فَيُوجَأُ أَخْدَعَاكَ وَتُنْهَمُ[٧٢٤]
وَلِمَنْ يُهِينُ الْمَالَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ ... وَلِمَنْ يَجُرُّ الْجَيْشَ وَهْوَ عَرَمْرَمُ[٧٢٥]
وَلِمَنْ إِذَا الْتَقَتِ الْكُمَاةُ بِمَأْزِقٍ ... فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الكَمِيُّ المُعْلِمُ[٧٢٦]
وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاةَ بِفَارِسٍ ... وَثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ[٧٢٧]
وَالْوَجْهُ أَزْهَرُ وَالْفُؤَادُ مُشَيَّعٌ ... وَالرُّمْحُ أَسْمَرُ وَالْحُسَامُ مُصَمِّمُ[٧٢٨]
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةٌ ... وَفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الْأَعَاجِمُ أَعْجَمُ[٧٢٩]

واجتاز ببعلبك فخلع عليه علي بن عسكر، وسأله أن يقيم عنده، وكان يريد السفر إلى أَنطاكيَة، فقال يستأذنه:

رَوِينَا يَا ابْنَ عَسْكَرِ الْهُمَامَا ... وَلَمْ يَتْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا[٧٣٠]
وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا ... لِغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَا[٧٣١]
وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ الْمَوَالِي ... وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيَكَ الْجِسَامَا[٧٣٢]
وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ ... بِأَرْضٍ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْمُقَامَا[٧٣٣]

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ صُورَتَهُ والذَّنْبُ للطَّرف لا للنجم في الصغر

(٦٩٥) لهوى النفوس: يروى لهوى القلوب. والسريرة: السر. وعرضًا: أي فجاءة واعتراضًا عن غير قصد، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق: أي نظرت نظرًا عرضًا، فيكون صفة مصدر محذوف. وخلت: حسبت. يقول: إن سر الهوى لا يعرف ولا يدرى من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق، كما قال:

إن المحبةَ أمْرُهَا عجَبُ تُلقى عليك وما لها سببُ

ثم قال: إني نظرت إليها عن غير قصد — يعني إلى المحبوبة — فعشقتها وكنت أظن أني أسلم من هواها.

(٦٩٦) معتنق الفوارس: وصف للشجاع؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف. والوغى: الحرب. وثَم: هناك. ورنا إليه يرنو: أدام النظر. وقد اضطربت كلمة الشراح في هذين البيتين، قال ابن جني: يرميه بأخته وبالابنة، وثم إشارة إلى المكان الذي يخلو فيه للحال المكروهة، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب؛ يصفه بالجبن. وقال العروضي: شبب بامرأة أخوها مبارز فتاك، فقال لها: أخوك على قساوة قلبه وإراقته الدماء أرحم منك. وكيف يرميه بالابنة وبأخته، وهو يقول: يرنو إليك مع العفاف؟! وهذه العفة من جهة الإسلام، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا في حكمهم. قال: وقد روي أن بشارًا كان في جماعة من نساء يداعبهن، فقلن له: ليتنا بناتك، فقال: وأنا على دين كسرى ... وقال ابن فورجه: شبب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد، كما قال في أخرى:

متى تَزُرْ قَوْمَ منْ تَهْوَى زِيَارتَهَا لَا يُتْحِفُوك بغيْرِ الْبِيضِ والأسَلِ

وكقوله أيضًا:

دِيَارُ اللَّوَاتِي دارُهُنَّ عزيزةٌ بِطُولِ الْقَنا يُحْفَظْنَ لا بالتمائم

وكقوله:

تَحُولُ رِمَاحُ الخطِّ دونَ سِبائِهِ

ثم قال لحبيبته: أنت قاسية القلب، وأخوك — على بسالته — إذا لقي العدو كان أرحم منك لي وأرق منك علي، ثم أراد المبالغة في ذكر حسنها فقال: أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك. ومن الدليل على النهاية في الحسن أن يود أخوها أنها تحل له؛ ولهذا قال أبو بكر الخوارزمي.

تَخشَى عَلَيْهَا أُمُّها أَبَاهَا

وقال أبو تمام في مثل هذا:

بِأَبِي مَنْ إِذَا رَآهَا أَبُوهَا قَالُ حُبًّا: يَا لَيْتَ أَنَّا مَجُوسُ

ومثله لعبد الصمد بن المعذل في جارية كان يسميها بنته:

أُحِبُّ بُنَيَّتِي حُبًّا أَرَاهُ يَزِيدُ على محبَّاتِ البناتِ
أَرَاني مِنْكِ أَهْوَى قَرْصَ خَدٍّ وَرَشْفًا لِلثَّنَايَا وَاللِّثَاتِ
وَإِلْصَاقًا بِبَطْنِ مِنْكِ بَطْنِي وَضَمًّا لِلْقُرُون الواردات
وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكُرُهُ مَليحًا بِهِ يَحْظَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ المجوسِ إذا الْتَقَيْنَا يكونُ أَحَلَّ من ماءِ الفراتِ

هذا، وقد قال أبو علي الفارسي: المجوس واليهود إنما عُرِّفا على حد يهودي ويهود ومجوسي ومجوس، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما؛ لأنهما معرفتان مؤنثتان فجريا في كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلا كالحيين في باب الصرف، وأنشد:

أصاح تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتعَارا

(قال ابن بري: صدر البيت لامرئ القيس، وعجزه للتوءم اليشكري. رووا أن امرأ القيس وكان مُعنًا عريضًا، يتعرض الناس بالشر، ينازع كل من قال إنه شاعر. فأتى

قتادة بن التوءم اليشكري وأخويه الحارث وأبا شريح، فقال لابن التوءم: إن كنت شاعرًا فملط أنصاف ما أقول وأجزها، فقال: نعم. فقال امرؤ القيس:

أصاح تَرى بُريقا هب وهنا

فقال ابن التوءم:

كنار مَجُوسَ تستعر اسْتعارا؟

فقال امرؤ القيس:

أرقْتُ له وَنَامَ أبُو شُريح

فقال ابن التوءم:

إذا ما قُلتُ: قد هدأ، استطارا

فقال امرؤ القيس:

كأنَّ هزيزَهُ بوراء غيب

فقال ابن التوءم:

عِشارٌ وُلَّهٌ لاقت عِشارا

فقال امرؤ القيس:

فلما أنْ عَلا كَنَفَي أُضاخ

فقال ابن التوءم:

وَهتْ أعْجازُ ريِّقهِ فحارا

فقال امرؤ القيس:

فلمْ يترُكْ بذات السِّرِّ ظبيا

فقال ابن التوءم:

ولم يتركْ بجلهتها حِمارا

«هب وهنا: فالوهن بعد هدء من الليل. وتصغير بريقًا تصغير التعظيم، كقولهم: دويهية. وخص نار المجوس؛ لأنهم يعبدونها، وقوله: أرقت له: أي سهرت من أجله مرتقبًا له لأعلم أين مصاب مائه. واستطار: انتشر. وهزيزه: صوت رعده، وقوله: بوراء غيب؛ أي بحيث أسمعه ولا أراه. وقوله: عشار ولَّه؛ أي فاقدة أولادها فهي تكثر الحنين، ولا سيما إذا رأت عشارًا مثلها، فإنه يزداد حنينها؛ شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق. وأضاخ: اسم موضع. وكنفاه: جانباه. وقوله: وهت أعجاز ريقه؛ أي استرخت أعجاز هذا السحاب، وهي مآخيره كما تسيل القربة الخلق إذا استرخت. وريق المطل: أوله. وذات السر: موضع كثير الظباء والحمر، فلم يبقَ هذا المطر ظبيًا به ولا حمارًا إلا وهو هارب أو غريق. والجلهة: ما استقبلك من الوادي إذا وافيته».)

(٦٩٧) رائعة البياض: الشعرة البيضاء التي تروع الناظر. ورواها ابن جني: راعية البياض، قال: والراعية من الشعر: أول شعرة تطلع من الشيب، وجمعها: رواع، وأنشد:

أَهْلًا بِرَاعِيَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ تَنْعَى الشبابَ وَتَنْهانَا عَنِ الْغَزَلِ

والأسحم: الأسود. والعارض: صفحة الخد، يقول: راعك — أفزعك — شيبي ولو كان أول لون الشعر بياضًا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر، فلا تراعي — إذن — بالبياض لأنه كالسواد.

(٦٩٨) سفرت: من سفور المرأة؛ أي كشفها عن وجهها. يقول: لو أمكنني أن أظهر صباي لكشفت عنه فإني حدث السن، ولكن الشيب جار علي عاجلًا فستر شبابي فكأنه

تلثم بستر ما تحته من السواد. يعني أن على شبابه لثامًا من الشيب الذي عجل إليه قبل وقته.

(٦٩٩) اليقق: الأبيض. ويعصم: يحفظ. يقول: ليس بياض الشعر موجبًا للموت فقد يعيش الشيخ، وليس سواده واقيًا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد.

(٧٠٠) يخترم: يقتطع ويستأصل. والجسيم: العظيم الجسم. والنحافة: الهزال، ونصبه على التمييز. والناصية: شعر مقدم الرأس. يقول: إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الجسد وهزله حتى يأتي عليه من الهزال، ويشيب الصبي قبل الأوان حتى يصير كالهرم من الضعف والعجز. يشير إلى علة مشيبه، وأن الهم هو الذي أشابه، كما قال أبو نواس:

وَمَا إنْ شِبتُ مِنْ كِبَر ولكِنْ لقِيت منَ الحوادِثِ مَا أشابَا

(٧٠١) يقول: إن العاقل يشقى وإن كان في نعمة؛ لتفكيره في عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال، والجاهل ينعم وهو في الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره في العواقب. قال البحتري:

أَرَى الحلْمَ بُؤْسًا فِي المَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ

وقال أبو نصر بن نباتة:

مَنْ لِي بِعَيْشِ الأغبياء فإنَّهُ لَا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

وقال ابن المعتز:

وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا

وقال ابن ميكال:

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عُقْلَةٌ عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ!
وَأَخُو الدِّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتْعَبٌ والعَيْشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ

(٧٠٢) نبذ الشيء: ألقاه وطرحه. والحفاظ: المحافظة على الحقوق والعهود. وأولاه كذا: أنعم به عليه. وعافٍ: من العفو عن الإساءة. يقول: إن الناس لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة — جمع ذمة؛ الحرمة والحق — ويتركون عرفان النعم. فمطلق من الإسار ينسى إحسان مطلقه، وعافٍ عن مسيء يندم لما يرى من كفران صنيعته وعدم شكرها. قال ابن جني: الندم على كل حالٍ غير مستحسن، قال الحطيئة:

مِنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ الله والناس

(قال ابن جني: ظاهره أن «جوازيه» جمع جازٍ؛ أي لا يعدم جزاء عليه. وجائز أن يكون جمع جزاء — لمشابهة اسم الفاعل للمصدر — فلما جمع «سيل» على سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء.)

(٧٠٣) يقول: لا تنخدع ببكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه، وارحم نفسك منه؛ فإنك إن رحمته وأبقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبقِ عليك.

(٧٠٤) يقول: لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساده وأعداءه، فإذا أراق — سفك — دماءهم سلم شرفه؛ لأنه يصير مهيبًا فلا يتعرض له. قال ابن جني: أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن يتقدم عليهم. قال العكبري: وهو منقول من كلام الحكيم: الصبر على مضض الرياسة ينال به شرف النفاسة.

(٧٠٥) القليل — هنا — ليس قليل العدد وإنما هو الخسيس الحقير. واللئام: جمع لئيم، ضد الكريم، وضمير الفعلين الأخيرين للقليل. يقول: إن اللئيم مطبوع على أذى الكريم لعدم المشاكلة بينهما:

إن الكِرام مشاغِل السفهاء

شوقي

لَقَدْ زَادَني حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طائِلِ
وأنِّي شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشمائِلِ

الطرماح بن حكيم

(٧٠٦) الشيم: جمع شيمة، وهي الخليقة والطبيعة، ومن شيم النفوس: يروى: في خلق النفوس. يقول: إن الناس جبلوا على الظلم، فإذا رأيت عفيفًا لا يظلم فإنما تَرْكُه الظلم لعلة كالخوف والعجز ونحوهما. قال العكبري: وهو من كلام الحكيم: الظلم من طبع النفس، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين؛ إما علة دينية، أو علة سياسية، كخوف الانتقام منها.

(٧٠٧) قال الواحدي: إنما قال هذا لأنه — ابن كيغلغ — كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرب منه. ومعنى البيت من قول الفرزدق:

وَأَنَخْتَ أُمَّكَ يا جريرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاس بَارِكَةً طَرِيقٌ مُعْمَلُ

وقد أبدع ابن الرومي في مثل هذا؛ إذ يقول في امرأة ابن المعلم:

وَتَبِيتُ بَيْنَ مُقابِلٍ وَمُدابِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقبِلٍ ولِمُدْبِرِ
كَأَجِيرَي المِنْشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ مُتَنَازِعَيْهِ فِي فَلِيجِ صَنَوْبَرِ
وَتَقُولُ للضَّيْفِ الْمِلِمِّ بِسَاحَةٍ إِنْ شِئْتَ فِي اسْتِي فأْتِني أَوْ فِي حِرِي
أَنَا كَعْبَةُ النَّيْكِ الَّتِي خُلِقَتْ لَهُ فَتَلَقَّ مِنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَكَبِّرِ
أَنَا زَوْجَةُ الأَعْمَى المُبَاحِ حَرِيمُهُ أَنَا عِرْسُ ذِي القَرْنَيْنِ لَا الإِسْكَنْدَرِ
قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا تَدْعُوا: عَدِمَتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الأعْوَرِ
فَإِذَا أَضَفْتُ إِلى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًا لَمْ يوتِرِ
ما زَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي حَتَّى بَدَا عَلَمُ الصَّبَاحِ الأزهرِ
أَرْمِي مَشِيمَتَها بِرَأْسِ مُلَمْلَمٍ رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ أَعْجَرِ
عَبْلٍ إِذَا قَلِقَ النِسَاءُ بِحَدِّهِ نِلْنَ الأَمَانَ مِنَ الوِلَادِ الأَعْسَرِ

(٧٠٨) المسالح: المواضع يعلق عليها السلاح. والشفر، والشافران: حرفا فرج المرأة، ويريد بحلقتيه: الفرج والرحم. والخضرم: البحر الكثير الماء. شبه المني — لكثرته في رحمها — بالبحر.

(٧٠٩) وارفق بنفسك: يريد لا تتحكك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص — لأنه أعور قصير — وأصلك دنيء لئيم.

(٧١٠) يقول: أنت مكد فيكون غناك في مسألة الناس، وليس وراء طيشك حقيقة، وإنما ذلك نفخة نفخت فيك، ورضاك أن ترى ذا فيشلة — ذكر — من عبد أو ممن ماثل العبد، وربك الذي تعبده درهم ... يعني أنه بخيل.

(٧١١) المناواة: المعاداة، وأصله المناوأة؛ لأنه من النوء وهو النهوض. والكمر: جمع كمرة، وهي رأس الذكر، يقول: لا تعادِ الرجال فإنك لا تقدر عليهم ولا لك بهم طاقة، وإنما قدرتك وإقدامك على «أيور العبيد» يصفه بالأبنة.

(٧١٢) العذل: اللوم. ويرعوي: يكف ويقلع. وعن غيه: فالغي نقيض الرشد، ويروى: عن جهله.

(٧١٣) العلوج: جمع علج، وهو في الأصل: حمار الوحش؛ لاستعلاج خلقه وغلظه، ويقال للرجل القوي الضخم من كفار العجم — غير العرب — علج وهو المراد هنا. يقول: يمشي القهقرى حبًّا للاستدخال. أي إن العلوج كانت تركبه فيمشي إلى خلفه على غير العادة، فإن من عادة المركوب أن يمشي إلى قدام، وهو بخلاف المركوب؛ لأنه يلجم من ورائه. هذا، وقوله: بأربعة، كان القياس أن يقول: بأربع؛ لأنه يريد اليدين والرجلين، لكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على المعنى، على حد قول الأعشى:

أرَى رَجُلًا مِنهم أسيفًا كأنما يَضُمُّ إلى كَشْحيهِ كفًّا مُخضَّبا

(الأسيف: الغضبان. يقول: كأن يده قطعت فاختضبت بدمها، وقال المبرد: أسيفًا: من التأسف لقطع يده، وقيل: هو أسير قد غلت يده، فجرح الغل — القيد — يده.)

وقد أنثوا المذكر على المعنى، قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت أعرابيًّا يمانيًّا يقول: فلان لغوب — أي أحمق — جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول كتابي؟ فقال: أليس بصحيفة؟ ومن تأنيث المذكر على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾؛ لأن الأمثال في المعنى حسنات. فالتقدير: عشر حسنات أمثالها. وإذا أنث المذكر فتذكير المؤنث أسهل؛ لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل على الفرع. وقوله: على أعقابه: قال العكبري: جمع في موضع التثنية، وحقه أن يقول على عقبيه، كما جاء في التنزيل: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، ولكنهم جمعوا في موضع الإفراد فقالوا: شابت مفارقه. وقال الشاعر:

والزعفرانُ على ترائِبِها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ

(الترائب: موضع القلادة من الصدر، واحدتها تريبة.)

فجمع التربية واللبة بما حولهما، وإذا كان هذا جائزًا في موضع الواحد فالجمع في موضع التثنية أجوز. ثم قال العكبري في إعراب «من وراء»: حذف المضاف إليه، والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم، كقبل وبعد وفوق وتحت، وإنما بنيت؛ لأن المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفًا، فلما اقتصروا على المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لا يعرب، فإن نكروا شيئًا منها أعربوه، فقالوا: جئت قبلًا ومن قبل، وبعدًا ومن بعدٍ، قال الشاعر:

فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وكُنْتُ قَبْلًا أكادُ أُغَصُّ بِالْمَاء الْفُرَات

(ويروى هذا البيت:

أكاد أغص بالماء الحميم

وروي:

أغص بنقطة الماء الحميم

من أبيات ليزيد بن الصعق. انظر: «الخزانة» ج١ ص٣٨٤ «سلفية».)

وقرئ: من قبل ومن بعد، فأعرب لنية التنكير، فقوله: «من وراء»، على نية التنكير، كأنه قال: من جهة تخالف وجهه.

(٧١٤) طرفت عينه: إذا أصيبت بشيء فدمعت. والحصرم: العنب الأخضر، وهو معروف أنه حامض. قال الواحدي: يقول: إنه أبدًا يحرك جفونه يستدعي العلوج، ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذًى أو عصر فيها الحصرم؛ لأنها لا تفتر عن التحريك. هذا، وقال العكبري في إعراب فت: عطف «فت» على مطروفة، وليس من حق الفعل أن يعطف على الاسم ولا الاسم على الفعل، ولكن ساغ ذلك في اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق والمعنى ولذلك عملًا فيه، وقد عطف الفعل

على الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ﴾، وقال الراجز:

تَبيتُ لا تأوِي ولَا نُفَّاشا

(نفشت الإبل والغنم تنفش نفشًا ونفوشًا: انتشرت ليلًا فرعت بلا راعٍ، وخص بعضهم به دخول الغنم في الزرع، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾.)

أي لا تأوي ولا تتنفش، وكذلك صافات وقابضات، والذين تصدقوا وأقرضوا.

(٧١٥) يريد قبح وجهه وكثرة تشنجه، وجعل حديثه كضحك القرد، حيث إنه ألكن عيي لا يفصح، ولهذا جعله مشيرًا؛ لأنه لا يقدر على الكلام فيشير، وجعل إشارته كلطم العجور إذا ولولت، قال الإمام ابن الشجري في «أماليه»: عيب على أبي الطيب قوله هذا، وقالوا: لا معنى لتشبيهه الحديث باللطم، وإنما كان حقه أن يضع في موضع تلطم تولول أو تبكي أو نحوهما، لكن لما شبه صوت حديثه بقهقهة القرد، وهي صوت، شبهه بلطم عجوز، ولطم النساء لا بد أن يصحبه صوت فلما اضطرته القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه و«أو» للإباحة؛ أي إن شئت شبهت حديثه بقهقهة قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم. وقول ثانٍ: وهو أنه شبه شيئين بشيئين، شبه حديثه بقهقهة القرد وشبه إشارته في أثناء حديثه بلطم العجوز؛ لأنه من عيه لا يفهم، وجعله مشيرًا بيديه؛ لأنه لا يقدر على الإفصاح، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار بأقل لما عجز عن الجواب. وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهمًا، وهو متأبطه، فقالوا له: بكم اشتريته؟ فمد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه؛ يريد بأصابعه عشرة وبلسانه درهمًا، فشرد الظبي. وفي هذا التشبيه معنًى آخر، وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه، فهو في القبح كوجه القرد، وفي التشنج كوجه العجوز. فإن قيل: كيف شبه شيئين بشيئين، وعطف بـ «أو» وهي لأحد الشيئين، وحقه أن يعطف بالواو؟ قلنا: إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو ... أقول: ومن مجيئها بمعنى الواو قول حميد بن ثور:

قومٌ إذا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ

(الصريخ: أي للحرب. والسافع: أخذ الناصية بلا لجام.)
وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر:

وَاحْكُم كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إذْ نَظَرَتْ   إلى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قالَتْ: أَلَا لَيْتَمَا هذا الحمامُ لنَا   إلى حمامتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ!
فَحَسَّبُوهُ فَأَلفَوْهُ كمَا ذَكرَتْ   سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ

(واحكم: يريد تبصر في الأمر وكن حكيمًا معي، ولا تقبل ممن سعى بي إليك، وكن كفتاة الحي إذ وصفت فأصابت، وفتاة الحي: هي زرقاء اليمامة، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام. فمر بها سرب من القطا، فقالت:

ليْتَ الحمامَ لِيَهْ إلى حَمَامتِيَهْ   أَوْ نِصْفهُ قدِ يَهْ تَمَّ الحمامُ مِيَهْ

فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسعًا وتسعين فبحمامتها تكمل المائة. وسراع: سريع الطيران. والثمد — بفتحتين — الماء القليل لا مادة له. وحسبوه: عدوه.)

ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي ويزيدون.

(٧١٦) قلاه يقليه قلًى وقلاء وقليه يقلاه: لغة طيئ، والقلى: البغض، وقال ابن سيده: قليته قلًى وقلاء ومقلية: أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته. وحكى سيبويه: قلى يقلي وهو نادر، شبهوا الألف بالهمز. وحكى ابن جني: قلاه وقليه، قال: وأرى يقلي إنما هو على قلى. وحكى ابن الأعرابي: قليته في الهجر قِلًى، مكسور ومقصور، وحكى في البغض قليته — بالكسر — أقلاه على القياس. والقذال: جماع مؤخر الرأس، وهو فاعل يقلي، ويجوز أن يكون مفعول المفارقة. وفاعل يقلي ضمير المهجو، أي أن قفاه يكره مفارقة الأكف؛ لأنه قد ألف صحبتها في الصفع فيكاد يتعمم على إحدى يديه، لئلا يخلو قفاه من كف. يريد أنه صفعان تعود أن يصفع فيكاد يتعمم على يده لتصفعه يده أيضًا.

(٧١٧) يقول: تراه أحقر ما يكون حين ينطق؛ لأنه عيي فلا يكاد يبين، أو لأنه ينطق بغير معقول، وأكذب ما يكون إذا حلف — أي حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر:

فَلَا تَحلِفْ فإنَّكَ غَيرُ بَرٍّ وأكذَبُ مَا تكُونُ إذَا حَلَفْتَا

وقوله: ويقسم: يريد وهو يقسم. هذا، وقد قال ابن الشجري في «أماليه»: فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد، «وأصغر» نصب على المصدر؛ لأنه أضيف إلى «ما» المصدرية، و«ناطقًا» نصب على الحال، وأفعل المضاف إلى المفضل إليه إنما هو بعض ما يضاف إليه، فصار كقولك: سرت أشد السير، و«أكذب» حكمه في ذلك حكم «أصغر» ونصب «ناطقًا» ترى الأول من الرؤية، وانتصابه على الحال، وتقديره: وتراه ناطقًا أحقر رؤيتك إياه، فالتحقير تناول الرؤية في اللفظ، والمراد تحقير المرئي. والمعنى: تراه ناطقًا أحقر منه إذا رأيته ساكتًا. ويكون كلاهما بمعنى يوجد. وإن جعلت «يكون» الأول ناقصًا وخبره «أكذب» لم يجز؛ لما ذكرته من انتصاب «أكذب» على المصدر لإضافته إلى المصدر، والمضمر في «يكون» عائد على المهجو، وخبر «كان» إذا كان مفردًا فهو واسمها عبارة عن شيء واحد بطل أن يجعل «يكون» ناقصًا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث، والواو في قوله: «ويقسم» واو الحال. والجملة بعده حال عمل فيها «يكون» الأول، وهي جملة ابتداء، والمبتدأ محذوف، والتقدير: وهو يقسم فحذف هو. وقال اليازجي: الأظهر أن «أفعل» في الموضعين مرفوع على الابتداء، وسدت الحال بعده مسد الخبر، والجملة في محل نصب بالناسخ؛ لأنها في الأصل خبر ابتداء، كما في قولك: هند أحسن ما تراها أو أحسن ما تكون سافرة، فلما دخل الناسخ عمل في المبتدأ الأول لفظًا، وفي جملة الخبر محلًّا، كما تقول: رأيت هندًا، أو كانت هند أحسن ما تكون سافرة. فتأمل.

(٧١٨) أود: خبر مقدم عن الأرقم، والأرقم: ضرب من الحيات فيه سواد وبياض، وفاعل «يود» ضمير الذليل، والعائد محذوف أي لمن يوده: أي لمن يظهر له وده. يقول: إن الذليل يظهر المودة — المحبة — لمن أذله؛ إذ ليس يقدر على مكافأته، ولا امتناع عنده، فيتودد إليه، على أن الحية أقرب إلى المصافاة من الذليل إذا أظهر الود لمن يوده، وهذا من قول سديف:

ذُلُّهَا أَظهَر المَودَّة مِنْهَا وَبِهَا مِنْكمُ كَحَزِّ المَواسِي

(من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بني العباس على بني أمية.)

(٧١٩) قال ابن جني: يعني أن عداوة الساقط تدل على مباينه طبعه فتنفع — يريد لا تضر — وصداقته تدل على مناسبته فتضر. قال الواحدي: وهو من قول صالح بن عبد القدوس:

عَدُوُّكَ ذُو العقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّـ ـدِيـق لَـكَ الْـوَامِـقِ الأَحْـمَـقِ

«الوامق: المحب.» وعبارة بعض الشراح: أراد بالنفع — هنا — ما هو أعم منه يعني انتفاء الضرر، والبيت مبني على الذي قبله: أي أن عداوة الذليل الذي يطوي كشحه على البغض تظهر ما أضمر من الخبث فتنفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه، وبعكسها صداقته فإنها قد تكون سببًا يتوصل بها إلى أذاه؛ لأنه يساتره العداوة، ويتربص به نهزة للغدر.

(٧٢٠) صفراء: اسم أمه: يقول: هي — على سعتها — أضيق منك، فكيف يتجه لي مدحك؟

(٧٢١) أُعَيِّر: تصغير أعور. قال الواحدي: وكان أبوه — واسمه إبراهيم — أعور. يقول: إن القيادة في غيرك كسب وأنت تتكرم بها: أي تحسبها كرمًا.

(٧٢٢) لشد: بمعنى ما أشد، واللام قبلها: للتوكيد. و«ما»: مصدرية. يقول: ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب مني المديح. وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت في نيلها. وأرادت بالأنجم: أبيات شعره.

(٧٢٣) الإراغة: الطلب. تقول: أرغت الصيد وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه: أي يطلبه ويديره، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم:

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالأَنْفِ سَالِمُ

(قال الجوهري: يقال للجلدة التي بين العين والأنف: «سالم» وأورد هذا البيت، قال: وهذا المعنى الذي أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج: إنه عندي كسالم والسلام. قال ابن بري: هذا وهم قبيح — أي جعله سالمًا اسمًا للجلدة التي بين العين والأنف، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنفه.)

«يديرونني: كيريغونني، ويقال: فلان يريغني أو يديرني على أمر وعن أمر: أي يراودني ويطلبه مني.» يقول: طلبت من المديح ما هو خالص لأبي العشائر؛ لأنه الذي

ينعم على زواره وقصاده. فقوله: «خالصًا» حال، أي الذي ثبت لأبي العشائر خالصًا لا ينازع فيه.

(٧٢٤) ولمن: عطف على «لمن يزار». والأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا، ويقال: لأقيمن أخدعيك: أي لأذهبن كبرك، والوجء: اللكز والضرب، ومراده بوجء أخدعيه: صفعه. والنهم: الزجر الشديد. يقول: والثناء لمن تزلفت إليه فأقمت ببابه ذليلًا تصفع هزوًا واستخفافًا، ثم تزجر مطرودًا. والبيت من قول جرير:

قَوْمٌ إذَا حَضَرَ الملوكَ وُفُودُهُم نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ على الأبْوَابِ

(٧٢٥) وهو مكرم: أي والمال مكرم يضن بمثله، فالضمير عائد على المال، ولك أن ترجعه للممدوح: أي يهين المال ويكرم عند الناس. والعرمرم: الكثير العظيم.

(٧٢٦) الكماة: جمع كمي، وهو البطل المشتمل بالسلاح، والمأزق: المضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقًا. والمعلم: الذي وسم نفسه بسيماء الحرب. وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام:

إنَّ الأسودَ أُسُودَ الغابِ هِمَّتُها يَوْمَ الكَرِيهَةِ في المَسْلوب لا السَّلَبِ

(٧٢٧) أطره: عطفه وثناه ولواه. وتأطر الرمح: تثنى. يقول: إذا اعوجت قناته في مطعون طعن بها آخر فثقفها بذلك، يريد شَدَّة طعنه وتتابعه.

(٧٢٨) «ال» هنا نائبة عن ضمير الممدوح: أي ووجهه وفؤاده ... وهلم جرا، والواو أول البيت: للحال. يقول: إذا التقى هو والكماة في مأزق: فوجهه أزهر — نير مشرق أبيض — وفؤاده مشيع — أي جريء — ورمحه يطعن به، وسيفه مصمم: أي يطبق المفصل ويصيب المحزَّ، فلا ينبو عن الضريبة.

(٧٢٩) الفعال هنا الفعل. يقول: إن الفعل يشابه النسب والأصل، فمن كرمت مناسبه كرمت أفعاله، ومن كان لئيم النسب كان لئيم الفعل، والأعاجم عند العرب لئام؛ ولذلك جعل الأعاجم في مقابلة الكرام، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميًّا، وهم يسمون من لم يتكلم بلغتهم أعجم من أي جيل كان، قال الراجز:

سَلُّومُ لَوْ أَصْبَحْتِ وَسْطَ الأعْجَمِ فِي الرُّومِ أَوْ فارِسَ أَوْ في الدَّيْلَمِ

إذن لـزُرْنَـاكِ وَلَـوْ بِـسُـلَّـمِ

(يقال: رجل أعجم وقوم أعجم.)
وقال حميد بن ثور:

ولم أَرَ مِثْلي شاقَهُ صوْتُ مِثْلِهَا ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صوْتُ أَعْجَم

فإنه عنى بالأعجم: حمامة سمع صوتها.
(٧٣٠) الهمام: العظيم الهمة والسيد الشجاع السخي. والهيام: أشد العطش. يقول: نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشًا، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا. هذا، وقد قلنا: إن «الهيام» هنا: أشد العطش، وأنشد ابن بري:

يَهيمُ وليس اللهُ شافٍ هُيامَهُ بِغرَّاءَ ما غنَّى الحمامُ وأنجدا

(شافٍ: في موضع نصب خبر «ليس». وإن شئت جعلته خبر «الله»، وفي «ليس» ضمير الشأن.)
والهيام أيضًا: كالجنون من العشق، وقد هيمه الحب. والهيام أيضًا: داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى، يقال: ناقة هيماء، قال كثير عزة:

فلا يَحْسَبُ الواشُون أنَّ صبابَتي بعزة كانتْ غمرةً فتجَلَّتِ
وأنِّيَ قَد أبللتُ مِنْ دَنَفٍ بها كما أدْنَفتْ هيماءُ ثُم استبلَّت

(أبل واستبل: برأ من مرضه.)
(٧٣١) القلى: البغض، ولغير قلًى: احتراس جميل. يقول: قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك ونسلم عليك.
(٧٣٢) الموالي — بفتح الميم — جمع مولى، وهو هنا العبد، ورواها العكبري: المُوالي — بضم الميم — أي الذي يلي بعضه بعضًا. والأيادي: النعم. والجسام: العظام. يقول: لسنا نرتحل عنك لأننا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولا لأنا ذممنا نعمك العظيمة.
(٧٣٣) توالت: تتابعت. والغمام: السحاب. وهذا تتمة لما ذكر في البيت السابق. يقول: إن المسافر إذا كثر عليه المطر مل مقامه — إقامته — واحتباسه لأجل المطر،